

## الصحة الرشدة هي الأمل

أنا لا أريد « تبسيط » الأمور ، ولا التهوين من العقبات أمام  
الصحة ، فهي عقبات جسام ولا شك ، لا يجحد ذلك إلا جاهل  
أو مكابر ، ومع هذا أقول :

إن المزية الكبرى لهذه الصحة : أنها تجسد الاتجاه الوحيد المعبر  
بصدق عن ضمير هذه الأمة ، وعن هويتها الحضارية والعقائدية ،  
الممثل لشخصيتها التاريخية ، المصور لطموحاتها وآمالها النابعة من  
ذاتها وروحها وكيونيتها الحقيقية .

فقد أثبت استقرار الواقع كما أثبتت قراءة التاريخ : أن روح الأمة  
هو الإسلام ، وأنها لا تعيش إلا به ، ولا تنطلق إلا منه ، ولا تبذل  
النفس والنفيس إلا من أجله ، ولا تجتمع كلمتها إلا عليه ، فهو  
المفتاح الوحيد الذى به تفتح كل مغاليقها التى استعصى فتحها ،  
وبغيره لن تفتح أبداً .

ومن ثم لم تحقق نصراً يذكر فى تاريخها القريب والبعيد ، ولا فى  
حاضرها المشهود إلا تحت لوائه .

وكم جربت هذه الأمة من دعوات ، وسمعت من صيحات ،  
تريد أن تقودها بغير الإسلام ولغير الإسلام ، فلم تثمر إلا الشتات  
والضياع والخذلان .

إن الفلسفات والدعوات الوافدة من الغرب والشرق ، والحلول المستوردة من اليمين واليسار ، لم تحقق إلا الإخفاق والفشل فى كل الميادين : عسكرية وسياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وأخلاقية .

وعيب هذه الفلسفات والأفكار والأنظمة : أنها دخيلة علينا ، غريبة عن روحنا وتكويننا العقدى والفكرى ، فهى عاجزة أن تخاطب « جوانية » إنساننا المسلم ، وأن تقوده من مسلماته العقلية ، وأن تفجر طاقاته المكنونة ، التى يستطيع بها أن يغير مجرى الأحداث ، كما سجل التاريخ لأسلافه من قبل .

لن تتحرك هذه الأمة وتصنع العجائب إذا أنشدتها معلقة امرئ القيس ، أو قصيدة عمرو بن كلثوم .

ولن تتحرك وتصنع العجائب إذا قرأت عليها مؤلفات « چان چاك روسو » ، أو « كارل ماركس » ، أو « چون ديوى » ، أو « ماوتستونج » ، أو « چان بول سارتر » .

إنما تتحرك حقاً وتصنع العجائب إذا حركتها بالقرآن ، وقدرتها بالإيمان ، ورفعت أمامها راية الإسلام ، وذكرتها بإمامها وزعيمها محمد عليه السلام .

وما لنا نذهب بعيداً ؟ وقد جربنا ورأينا ، وشاهدنا وشهدنا : أنهم يوم نادوا بشعارات القومية والاشتراكية والتقدمية وما شابهها ، لم يستطيعوا أن يغيروا من واقع الأمة شيئاً ذا بال ، وما حققوه من مكاسب أو إنجازات - فى نظر البعض على الأقل - خسرت الأمة

أضعافه فى جوانبها الأخرى ، مادية ومعنوية ، وما زالت الأمة تعاني من ثماره المرة ، وخسائره غير المباشرة ، التى تظهر آثارها فى حياتنا العامة يومًا بعد يوم .



### ● واجبنا نحو الصحوة :

إن الصحوة الإسلامية هى أمل الغد لأمتنا ، وهى التى تستطيع أن تقود سفينة الإنقاذ بقوة وجدارة إذا ما ساعدناها نحن العرب والمسلمين على أداء رسالتها ، وساعدت هى نفسها أيضًا ، وذلك بما يلى :

( أ ) أن تكون صحوة لنا جميعًا : لا أن يقف فريق منا معها ، وفريق يقاومها ، ونقضى العمر فى جذب وشد ، ومد وجزر ، دون أن ننجز شيئًا كبيرًا .

يجب أن نفك كلنا وراء الصحوة ، وأن يزول هذا التفريق بين « مسلمين » ، و « إسلاميين » ، مسلمين بوراثنة العقيدة ، وإسلاميين بالتوجه والولاء ، يجب أن نكون كلنا إسلاميين ، بمعنى أن يكون : انتماؤنا إلى الإسلام ، وولاؤنا للإسلام ، وتوجهنا إلى الإسلام ، ومرجعنا إلى الإسلام ، حتى غير المسلمين ، يمكن أن يكونوا كذلك فيؤمنوا بحتمية الحل الإسلامى ، وإن لم يؤمنوا بحقيقة الاعتقاد الإسلامى ، فهم مسلمون بالثقافة والحضارة ، وإن لم يكونوا مسلمين بالعقيدة والديانة .

وأحب أن أنه هنا على تميز مهم ، هو الفرق بين الصحوة الإسلامية والحركة الإسلامية .



### ● بين الحركة الإسلامية والصحوة الإسلامية :

فالحركة الإسلامية لها مدلول معين يعنى ارتباطاً وتنظيماً وقيادة وجندية ، أما الصحوة فهى تيار عام يشمل كل العاملين للإسلام ، جماعات وأفراداً ، ويضم معه كل المهتمين والغيريين على الإسلام . وعلى أمته ، وعلى أوطانه ، وإن لم يضمهم عنوان أو لافتة ، أو لم يدخلوا فى إطار هيئة أو جمعية .

الصحوة تيار تلقائى ، لا ينسب إلى جماعة بعينها ، ولا إلى مدرسة فكرية بعينها ، ولا إلى اتجاه سياسى بعينه ، بل يضم الجميع فى رحابه الفيحاء .

إنه التيار الذى لا يربط بين آحاده وفئاته إلا حب الإسلام ، والاعتزاز به ، والحرص على خير أمته وإعلاء كلمته ، والتمكين له فى الأرض ، عقيدة وفكراً وسلوكاً وتشريعاً وحضارة ونظاماً للحياة .

( ب ) أن توفر للصحوة مناخ الحرية والأمان ، لتعمل بلا خوف : ولا تربص ، وبغير قيود وأغلال ، ودون حواجز وأسوار ، ومثل هذا المناخ خليق أن تنطلق فيه القوى كلها : وتنطلق به العقول لتبدع ، وتنطلق العزائم لتعمل ، والقدرات لتتقن وتتطور . أما جو الخوف

والقيود والحواجز والكبت ، فليس وراءه إلا العجز والكسل ،  
والخمول والضياع .

( ج ) يجب ألا نتعامل مع الصحوة من عقدة الخوف : أن  
انحرف كما انحرف رجال الدين فى الغرب المسيحى ، أو كما  
انحرف رجال الملك فى الشرق الإسلامى ، وكأننا نحملها أوزار  
انحراف التاريخ كله ، فى العالم كله !

علينا أن نعطيها الفرصة لقيادة الأمة فى معركة التحرير ، ومعركة  
البناء ، وسائر معاركها السبع <sup>(١)</sup> ، كما أعطيت للاتجاهات  
والحلول المستوردة الأخرى يمينية ويسارية ، ليبرالية وثورية .

فالحل الوحيد الذى لم يأخذ فرصته بعد النهضة هو : الحل  
الإسلامى الذى تنادى به الصحوة ، مع أنه الحل الذى يمثل القاعدة  
الجماهيرية العريضة فى شعوبنا باعتراف جميع المراقبين والدارسين .

\* \* \*

### ● واجب الصحوة نحو نفسها :

( د ) أما الصحوة نفسها : فنريد منها أن تنزل إلى الشعب ، إلى  
الشارع العربى المسلم وتتفاعل معه ، تعلم الجاهل ، وتنبه الغافل ،

---

(١) أعنى بها المعارك ضد : التخلف العلمى والتكنولوجيا ، والتبعية  
الفكرية والسياسية ، والظلم الاجتماعى ، والاستبداد السياسى ، والخطر  
الصهيونى ، والتمزق القومى ، والتسيب الأخلاقى ، وهى الهموم الكبرى  
للوطن العربى والإسلامى .

وتدرب العاقل ، وتساعد العامل ، وتعين المحتاج ، وتقوى الضعيف ، وتعالج السقيم ، وتقوم المنحرف ، وتربى الجليل ، وتأخذ بيد الضال إلى الهداية ، والعاصى إلى التوبة ، ولا تتعالى على المجتمع ، وهى جزء منه ، ولا تنظر إليه على أنه هالك ، وهى وحدها الناجية ! فى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم : « إذا سمعتم الرجل يقول : هلك الناس ، فهو أهلكهم » أى أقربهم إلى الهلاك لغروره وعجبه ، واحتقاره لغيره .

( هـ ) أن تصحح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام : لدى الخاصة والعامة ، سواء مفاهيم « الجمود » الموروثة عن عهود التخلف ، أم مفاهيم « الجحود » التى أدخلها الاستعمار الثقافى فى حياتنا ، وأن تقوم بدورها فى « التوعية » تمهيداً لدورها فى « التربية » وهما متكاملان .

( و ) أن تجعل الصحوة أكبر همها : أن تتسامح ولا تتعصب ، وأن تجمع ولا تفرق ، وتدرك أن العالم من حولها شرقاً وغرباً ، ينسى خلافاته ، ويتقارب على كل مستوى : على المستوى الدينى ، تتقارب المذاهب النصرانية ، وتتقارب اليهودية والنصرانية ، وقد رأينا وثيقة الفاتيكان فى « تبرئة اليهود من دم المسيح » ! ، وعلى المستوى الاقتصادى رأينا التكتل الأوروبى ، والتكتلات الأخرى فى العالم ، فنحن فى عصر التكتلات الكبرى لا الجماعات الصغيرة . فلا يجوز أن تشتغل فصائل الصحوة بالمعارك الجانيية ، والمسائل

الهامشية ، التى يتعذر أن يتفق الناس فيها على رأى واحد ، وعليهم أن يهتموا بالقضايا المصيرية والمسائل الكبرى ، ويتبنوا قاعدة المنار الذهبية : « نتعاون فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه » .

ولا مانع من تعدد مدارس الصحة وفصائلها ، على أن يكون تعدد تخصص وتنوع ، لا تعدد تناقض وتضاد ، وأن يتفاهم الجميع ويتضاموا ويتضامنوا فى القضايا الكبرى ، التى يجب أن يكونوا فيها صفًا واحدًا .

( ز ) أن تكون صحة بناء لا هدم : وأن يكون همها إضاءة الشموع لا سب الظلام ، وإمالة الأذى عن الطريق لا لعن من وضعه فيه ، فالنبي ﷺ لم يبعث لعائنًا ، ولكن بعث رحمة . حتى إن النبي ﷺ قال لمن سب الشيطان : « لا تقل : تعس الشيطان ، فإنك إن قلت ذلك انتفخ حتى يصير كالجبل ، ويقول : صرعته بقوتي ، ولكن قل : بسم الله ، فإنه يتصاغر حتى يصبح كالذباب » رواه أبو داود .

( ح ) أن تفتح باب الحوار مع كل التيارات الوطنية المخالفة : مؤكدة لمواضع الاتفاق ، متفاهمة فى نقاط الاختلاف ، داعية - كما أمر الله تعالى - بالحكمة لا بالسفاهة ، وبالوعظة الحسنة ، لا بالجملة العنيفة ، وبالجidal بالتى هى أحسن ، لا بالتى هى أخشن .

( ط ) ألا تشتغل بالفروع عن الأصول : ولا بالجزئيات عن

الكليات ، ولا بالشكل عن الجوهر ، ولا بالنوافل عن الفرائض ، وأن تتعمق في « فقه الأولويات » حتى لا تختل النسب الشرعية بين التكاليف ، فتقدم ما حقه التأخير ، وتؤخر ما حقه التقديم ، وتعظم الهين من الأمور ، وتهون العظم ، وقد قال الإمام الغزالي بحق : « فقد الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور » ، كما قرر علماؤنا : إن الله لا يقبل النافلة حتى تؤدي الفريضة ، ولا يقبل الفروع من ضيع الأصول .

( ي ) أن تراعى سنن الله في خلقه : وهى سنن ثابتة لا تتبدل ، صارمة لا تجامل ، فلا تلتبس حصادًا بغير زرع ، ولا تستعجل ثمرة قبل أوان نضجها ، وتعلم أن لكل شىء فى الكون قاتونه المطرد ، فمن صادم قوانين الكون صدمته ، ومن غالبها غلبته ، ومن عمل من خلalها مهتديًا بهدى الله كان نصيبه الفلاح فى الأولى والآخرة .



### ● معارك فكرية يجب أن تتوقف :

وعلىنا إذا كنا جادين فى البحث عن الخلاص ، أن ننهى الخلافات المعلقة دون حسم أو تحديد .

ولكى نختصر الطريق على الباحثين والمناقشين ، أود أن أعلن بكل وضوح : أن هناك قضايا فكرية طال عليها الأمد ، وعقدت لها المؤتمرات والحلقات والندوات ، وأعتقد أن الرؤية فيها قد وضحت ، وينبغى أن ينتهى الاختلاف فيها ، والاتفاق على أصولها .

يجب أن نفرض الاشتباك - بلغة العسكريين - بين أمور طالما حدث الاشتباك بينها نتيجة لغموض المصطلحات ، وعدم تحديد المفاهيم ، أو رغبة قوم فى بقاء هذا الاشتباك أو النزاع مستمراً دون كلمة فاصلة .

من هذه الأمور :

### ١ - الاشتباك بين الدين والعلم :

فهذه معركة نشأت فى غير أرضنا ، ولم توجد عندنا يوماً ، وكما قلنا ونقول دائماً : إن الدين عندنا علم ، والعلم عندنا دين ، ولا يوجد داعية ولا فقيه ولا أحد يتمى إلى الصحوة الإسلامية ، يقول بالاستغناء عن العلم ، أو إغلاق الباب فى وجه التكنولوجيا ، بل يرون ذلك فريضة دينية ، وضرورة حيوية ، فلا مبرر لافتعال خصومة أو معركة حول هذا الموضوع المنتهى .

### ٢ - الاشتباك بين الأصالة والمعاصرة :

فالمفهومان غير متعارضين أصلاً ، إلا إذا جعلنا « الأصالة » بمعنى « الانغلاق » على الماضى وحده غافلين عن متاعب الحاضر وآمال المستقبل ، رافضين كل تجديد أو اجتهاد ، أو اقتباس للحكمة من أى وعاء . . أو جعلنا « المعاصرة » بمعنى « الانفلات » من تراثنا كله : الملزم وغير الملزم ، الثابت والمتغير ، الإلهى والبشرى ، إن جاز لنا أن نسمى الجانب الإلهى « القرآن والسُّنة » تراثاً .

على أن هذا لا يعنى أن الأمر سهل ، فلا بد من بذل جهد كبير

من أهل العلم والفكر المخلصين ، لتمييز الإلهى من البشرى فى التراث ، والملزم من غير الملزم ، والثابت من المتغير منه ، وكذلك النافع من غير النافع من المعاصر ، والملائم لنا من غير الملائم ، فليس كل ما فى « العصر » خيراً ، فكم فيه من « سلبات » ضارة بل قاتلة .

### ٣ - الاشتباك بين العروبة والإسلام :

فالعروبة فى الواقع عميقة الصلة بالإسلام ، فالعربية لسان قرآنه وسُنَّته ولغة عبادته وثقافته ، والعروبة وعَاوُه ، وأرض العرب معقله وحصنه ، بها مقدساته ومساجده التى لا تشد الرحال إلا إليها ، والعرب هم حملة رسالة الإسلام إلى العالم والصحابة كلهم عرب ، ومن لم يكن عربى العرق منهم أصبح عربى اللسان والقلب ، « ومن تكلم العربية فهو عربى » ، وقد جاء فى الأثر : إذا عز العرب عز الإسلام ، وإذا ذل العرب ذل الإسلام .

العروبة إذن عميقة الصلة بالإسلام ، والإسلام كذلك عميق الصلة بالعروبة ، ولا تعارض بين العروبة والإسلام ، إلا إذا كانت العروبة « علمانية » ، وهى التى لا تقبل الإسلام حكماً ، أو كان الإسلام « شعوبياً » وهو الذى يعادى العرب ، والواقع أن الإسلام يجعل للعرب مكانة خاصة ، ويعرب مشاعر المسلمين من غير العرب ، إن لم يعرب ألسنتهم وثقافتهم .

